

البعد التواصلية لأسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف

calling dimension of prophet's Hadith

يزيد بن اسباع جامعة

جامعة باتنة 1 (الحاج لخضر- الجزائر مغبر)

مغبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

Email:ouanassa.kerazi@univ-batna.dz

وناسة كرازي *

باتنة 1 (الحاج لخضر- الجزائر)

الموسوعة الجزائرية الميسرة

Email: yazidbensbaa89@gmail.com

تاريخ القبول: 2020-10-21

تاريخ الإرسال: 2020-03-19

ملخص:

استطاع الرسول-صلى الله عليه وسلم-أن ينشئ حدثا تواصليا لا ينقطع مع مخاطبيه منذ زمن بعيد، ويحافظ على التفاعل و التأثير في المتلقين عبر العصور، ولعل من أبرز عوامل التفاعل ما حوته أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-من أساليب إنشائية، وفي مقدمتها النداء الذي تتحقق فيه حضوريا عناصر عملية الاتصال الأساسية: المرسل والمرسل إليه والرسالة. فما حقيقة النداء في الحديث النبوي الشريف؟ وما هي أغراضه؟

الكلمات المفتاحية: تواصل، أسلوب، نداء، أغراض.

Abstract:

This article sheds light on the communication side of prophet's Hadith Prophet Mohamed peace be upon him invented a method of communication to know and unknown people in different times .He used many styles in order to keep the influence and interaction on interlocutor and the most important one was "calling" which respect all the communication parts. So what is the importance of calling in prophet's Hadith and what are its objectives?

Keywords: communication; interaction; calling (phatic) ;objectives

مقدمة:

الحديث النبوي الشريف خطاب تعليمي وتوجيهي بامتياز، استخدم فيه الرسول-صلى الله عليه وسلم-كل ما من شأنه أن يحقق الغايات المرجوة، ويضمن التواصل والتفاعل والتأثير، لذلك طغت عليه الأساليب الإنشائية بعامة، والطلبية بخاصة، وستفرد هذه الدراسة لتسليط الضوء على أسلوب النداء من خلال نماذج منتقاة من الحديث النبوي الشريف الواردة في كتاب الموطأ للإمام مالك، بغية معرفة الأغراض الأساسية من توظيفه في أحاديث كثيرة، وفي مواضع مختلفة، فقد جرت العادة أن يستخدم النداء في بداية الكلام، للفت انتباه المخاطب، لكن اللافت للانتباه في بعض أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-هو ورود النداء في وسط الكلام حيناً، وفي نهايته أحياناً أخرى، مما يؤكد على أن للنداء أغراضاً أخرى غير لفت الانتباه.

1- مفهوم الإنشاء في البلاغة العربية:

قسم الكلام في التراث اللغوي العربي إلى قسمين: خبري وإنشائي، انطلاقاً من معيار الصدق أو الكذب. فالكلام الخبري هو ما كان له واقع يطابقه، فإن طابقه فهو صادق، وإن لم يطابقه فهو كاذب. والكلام الإنشائي لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، لأن الإنشاء ليس لنسبته خارج يطابقه أو لا يطابقه، وقد قسمه البلاغيون العرب إلى قسمين: طلبي وغير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي هو "ما يستلزم مطلوباً حاصلًا وقت الطلب" ويشمل المدح والذم والتعجب والقسم، وأما الإنشاء الطلبي "فيستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب" ويتمثل في الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

وتجدر الإشارة إلى أن من البلاغيين العرب من أطلق مصطلح الطلب للدلالة على الإنشاء بنوعيه، كأبي يعقوب السكاكي الذي قسم الكلام إلى طلب وغير طلب.

2- النداء: مفهومه وبنية

أ- مفهوم النداء

النداء من أساليب الاستهلال المفضلة عند العرب، وحقيقته "طلب الإقبال حساً" (1)

أو معنى (2)، بحرف نائب مناب أدعو سواء أكان الحرف ملفوظاً أم مقدراً (3)، فالنداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرف من حروف النداء، يحل محل الفعل المضارع المحذوف، وقد يحذف حرف النداء إذا فهم من الكلام ب-بنية النداء

(1) - مثال الإقبال حساً، ما ورد على لسان زكريا وهو يخاطب مريم البتول: « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أتئ لك هذا قالت هو من عند الله » آل عمران/ 37.

(2) - مثال الإقبال معنى، قوله تعالى: « ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد » سبأ/ 10.

(3) عبد العزيز أبو سريغ (1989)، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، مصر، ص 316.

تتكون جملة النداء من أداة يصوت بها للتنبيه⁽¹⁾، ومنادى منصوب على الفعل المتروك إظهاره⁽²⁾، المحذوف لكثرة الاستعمال بعد أداة التنبيه⁽³⁾، وقد اختلف في تحديد ماهية أدوات النداء، فجمهور النحاة يرى أنها حروف، وبعضهم يجعلها أدوات تنبيه وهي مثل: "ألا للتنبيه، ومثل [ها] التي تدخل على أسماء الإشارة، إلا أنها أقوى تنبيها منها، وأدعى لالتفات المخاطب وإسماعه الصوت⁽⁴⁾، وهذا ما أشار إليه سيبويه في قوله: "لما كثر [النداء] وكان الأول في كل موضع، حذفوا منه تخفيفا، لأنهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم، حتى جعلوه بمنزلة الأصوات، وما أشبه الأصوات من غير الأسماء الممكنة⁽⁵⁾"، ومن النحاة من يجعل أدوات النداء أسماء أفعال، لذلك نظروا إلى النداء على أنه تركيب قائم بذاته، مكوناته الأساسية: أدوات النداء والمنادى.

أ- أدوات النداء

أدوات النداء في العربية معروفة وهي: الهمزة، أي، يا، أي، أو، أي، هيا، وا، وقسمت إلى قسمين:

- قسم ينادى بها القريب وهي الهمزة وأي.

- وقسم ينادى بها البعيد، وهي بقية الأدوات، ومعظمها ينتهي بصوت مد يعين المرسل على مد صوته، لإيصال رسالته إلى المخاطب البعيد. وتعد الياء من أكثر الأدوات استخداما، ينادى بها القريب والبعيد على حد سواء، ويصح حذفها دون غيرها من الأدوات حذفاً لفظياً فقط.

ب- المنادى

هو المرسل إليه أو المخاطب المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً، وقد صنفه النحاة ضمن المفعولات، يقول ابن هشام: "ومن المفعول به المنادى، وذلك لأن قولك يا عبد الله أصله أدعو عبد الله، فحذف الفعل و أنيب (يا) عنه".

إن النظر إلى أسلوب النداء على أنه عملية تواصلية بين مرسل و مرسل إليه، تجعلنا لا نقف عند أدوات النداء والمنادى، بل لا بد من دراسة المرسل (المنادي) والرسالة (جواب النداء)، لأن النداء ليس تركيباً قائماً بذاته، ولا يمكن فصله عن المضمون الإبلاغي الذي يهدف المرسل إلى إيصاله إلى المتلقي.

(1) ينظر: عبد السلام محمد هارون (2001)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، مصر، ص 136.

(2) - إن مسألة تقدير الفعل المحذوف في جملة النداء، ولدت لدى النحاة اختلافات كثيرة، خاصة فيما يتعلق بتصنيف جملة النداء، لأن تقدير الفعل المحذوف يرجعها من الإنشاء إلى الخبر.

(3) - ينظر: سيبويه (دت)، كتاب سيبويه، دط، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار التاريخ، لبنان، ج1، ص 291 و ج2، ص 182.

(4) - ينظر: مهدي المخزومي (1986)، النحو العربي: نقد وتوجيه، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، لبنان، ص 302.

(5) - سيبويه، ج2، ص 208.

ج-المنادي

هو المرسل الذي يرسل النداء، بغية إحداث عملية التواصل، وفي أغلب الأحيان لا يظهر في جملة النداء، لكن النحاة العرب قدروه فاعلا لفعل النداء المحذوف (أنادي أو أدعو)، والمنادي في الأحاديث النبوية المدروسة هو الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

د-جواب النداء

هي الرسالة اللغوية المقصود إيصالها إلى المتلقي؛ فالمتكلم عندما ينادي مخاطبا، لا يلتفت انتباهه فحسب، بل يطلب منه شيئا، أو يستفهم عن شيء، لذلك كثيرا ما تصحب النداء صيغ الأمر والنهي⁽¹⁾...ويقول أن تصحبه الجملة الخبرية.⁽²⁾

يقول سيبويه: "إن المنادي مختص من بين أمتك لأمرك ونهيك أو خبرك"، ويجعل سيبويه لأسلوب النداء موضعا قارًا هو أول كل كلام، يقول: "فأول الكلام أبدا النداء، إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك"⁽³⁾.

3-أغراض النداء:

جاء أسلوب النداء في أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – معبرا عن معان مختلفة، ومحققا لأغراض متعددة، وملبيا لحاجة الدعوة الإسلامية إلى الإبلاغ والتنبيه والتوجيه، فتعددت الأساليب الإنشائية الواردة في هذه الصورة في الموطأ، وطمح عليها النداء المعتمد على استخدام حرف النداء (يا) دون سائر الحروف؛ في حين ورد النداء المحذوف الأداة في مواضع قليلة.

النداء في أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – منه ما هو عام موجه إِمَّا إلى عامة الناس، وإِمَّا إلى فئة معينة منهم، ومنه ما هو خاص بمخاطب معين، ناداه الرسول – صلى الله عليه وسلم – باسمه أو بكنيته.

من النداء العام ما ورد في باب "النوم عن الصلاة:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - « يا أيها الناس ! إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا؛ فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها، ثم فزع إليها، فليصلها، كما كان يصلها في وقتها»⁽⁴⁾ في هذا الحديث الشريف متوالية من الأساليب الإنشائية: أولها النداء الذي لم

(1) - مثال النداء المصحوب بالأمر قوله تعالى: « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » البقرة/ 21.

مثال النداء المصحوب بالنهي: « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » الحجرات/ 11.

مثال النداء المصحوب بالخبر: « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » الزخرف / 68

(2) - عبد العزيز أبو سريع (1989)، ص 316.

(3) - سيبويه، ج 2، ص 208.

(4) - نص الحديث:

يقصد به مخاطبا معينا، بل هو نداء عام، يشمل الناس جميعا والغرض منه ليس التنبيه فحسب، بل التهدئة من الفزع الذي أصاب القوم - وهذا ما يوضحه السياق الذي ورد فيه الحديث - وتوجيههم إلى ما ينبغي فعله في حال النوم عن الصلاة، وهذا ما ترشد إليه الأساليب المصاحبة للنداء (الخبر) في قوله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا » والأمر في قوله: " فليصلها، كما كان يصلها من قبل ».

فالغرض الرئيس للنداء يستخلص - في الغالب - من جواب النداء، ومن أهم أغراض النداء في الحديث النبوي الشريف ما يأتي:

أ- الاستمالة والتوجيه:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله. من أصاب من هذه القاذورات شيئا، فليستتر بستر الله فإنه من يبيدي لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله ».(1)

ورد النداء في هذا الحديث الشريف محذوف الأداة (2) " أيها الناس " إشارة إلى قرب المخاطبين من المرسل - عليه الصلاة والسلام - وهذا ما يوضحه سياق الحديث (اجتماع القوم وشهودهم إقامة

حدثني عن مالك، عن زيد بن أسلم، أنه قال: عرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة، بطريق مكة ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال، ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس. فاستيقظ القوم، وقد فزعوا. فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي. وقال: « إن هذا واد به شيطان » فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ينزلوا ويتوضؤوا. وأمر بلالا أن ينادي بالصلاة، أو يقيم. فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس، ثم انصرف إليهم، وقد رأى من فرعهم. فقال: « يا أيها الناس ! إن الله قبض أروانا، ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا: فإذا رقد أحدكم عن الصلاة، أونسيتها، ثم فرغ إليها، فليصلها، كما كان يصلها في وقتها ».

الموطأ، ص 19 (كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة، الحديث السادس والعشرون).

(1) - نص الحديث:

حدثني مالك عن زيد بن أسلم؛ أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسوط. فأتي بسوط مكسور. فقال ((فوق هذا)) فأتي بسوط جديد، لم تقطع ثمرته، فقال: دون هذا، فأتي بسوط قد ركب به ولان. فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلده. ثم قال: « أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئا، فليستتر بستر الله، فإنه من يبيدي لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله ».

الموطأ، ص 720 (كتاب الحدود، باب ما جاء في من اعترف على نفسه بالزنا، الحديث الثالث عشر).

(2) - أجاز النحاة حذف أداة النداء من الكلام تخفيفا، إذا كان المنادى مقبلا عليك، منتهيا لما تقوله له؛ ولذلك جعلوه خاصا بالمنادى القريب، وتقديرها عند الحذف دائما.

ينظر: ابن عبد الله أحمد شعيب (2008)، معجم الأدوات النحوية وإعرابها، ط1، بيروت، دار ابن حزم، لبنان، ص 266.

الحدّ على الزاني)، وغرضه استمالة الناس لقبول ما يلقي عليهم من حسن توجيهه وسديد إرشاده " من أصاب من هذه القاذورات شيئاً، فليستّر بستر الله"، فقد شبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فاحشة الزنا بالقاذورات كي ينقّر أصحاب الطبائع السوية منها، فيستجيب الناس لأمر الرسول الكريم بالستر والعفاف.

ب-الدعاء:

جاء النداء المحقق لغرض الدعاء محذوف الأداة، معتمداً على لفظ "اللهم" في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - دلالة على قرب المنادي حسّاً ومعنى، فالله سبحانه وتعالى أقرب من حبل الوريد إلى عباده بعامّة وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخاصّة، قال الله تعالى: « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».⁽¹⁾

دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مواقف كثيرة للمدينة المنورة ولأهلها؛ لأن المدينة تعد مصدر الإيمان ومعدن الدين ومستقر النبوة، وقد أفرد الإمام مالك في الموطأ باباً لذلك سمّاه: "باب الدعاء للمدينة وأهلها"⁽²⁾.

قال - عليه الصلاة والسلام -: « اللهم حبّب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشدّ وصحّحها، وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حمّاها، فاجعلها بالجحفة»⁽³⁾.

(1) - الآية 16 من سورة ق.

(2) - ينظر: الموطأ، ص 773.

(3) - نص الحديث:

حدثني عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أمّ المؤمنين؛ أنّها قالت: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وعك أبو بكر وبلال.

قالت فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟

قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَ الْمَوْتُ أَذْنِي مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته* فيقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بواد وحولي إذ خُرّ وجليل؟

وهل أردن يوماً مياه مجنّة؟ وهل يببّدون لي شامة وطّيل؟

قالت عائشة: فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال: اللهم حبّب إلينا المدينة. كحبنا مكة أو أشدّ. وصحّحها وبارك لنا في صاعها ومدّها وانقل حمّاها، فاجعلها بالجحفة».

الموطأ، ص 777، 778 (كتاب الجامع، باب ما جاء في وباء المدينة، الحديث الرابع عشر).

فقد دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمدينة المنورة بالبركة، مستهلاً دعاءه بلفظ " اللهم " طالبا من الله العون على صرف الأسقام عنها وداعيا لها بالخير والبركة مثلما دعا لأهلها في الحديث الآتي:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدّهم »⁽¹⁾. يعني أهل المدينة.

ومثلما دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأهل المدينة، دعا للمسلمين كافة، بل ودعا لنفسه أيضا، مستخدما النداء كمقدمة لذلك:

قال - عليه الصلاة والسلام -: « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »⁽²⁾.

الغرض من النداء في هذا الحديث هو طلب العون من الله، أن يجنب المسلمين ما وقع فيه غيرهم من الأقوام، حينما اتخذوا قبور أنبيائهم أوثانا تعبد.

وفي أحاديث كثيرة استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - النداء كمقدمة لدعاء ربه أن يجنب المسلمين بعمامة شرور الدنيا وفتن الآخرة، ومن ذلك ما جاء في باب الاستسقاء.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « اللهم، اسق عبادك وهيمتك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت »⁽³⁾.

ج- الاختصاص:

إذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما يتوجه بالنداء إلى الله تعالى، طالبا منه العون، فإنه يلتفت كذلك إلى فئات معينة من أصحابه ليخصهم بالنداء، ويوجههم إلى ما ينبغي فعله في مناسبات معينة قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة: « يا معشر المسلمين! إن هذا يوم جعله الله عيدا، فاغتسلوا. ومن عنده طيب فلا يضربه أن يمس منه. وعليكم بالسواك »⁽⁴⁾.

فالنداء في هذا الحديث موجه للمسلمين دون غيرهم من عباد الله؛ لذا فإن غرضه الرئيس هو الاختصاص.

(1) - نص الحديث:

حدثني يحيى بن يحيى قال: حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « اللهم بارك لهم في مكيالهم. وبارك لهم في صاعهم ومدّهم » يعني أهل المدينة. الموطأ، ص 773 (كتاب الجامع، باب الدعاء لمدينة وأهلها، الحديث الأول).

(2) - الموطأ، ص 157 (كتاب صلاة الجماعة، باب جامع الصلاة، الحديث الواحد والتسعون).

(3) - الموطأ، ص 184 (كتاب الاستسقاء، باب ما جاء في الاستسقاء، الحديث الثاني).

(4) - الموطأ، ص 58 (كتاب الطهارة، باب ما جاء في السواك، الحديث السادس عشر بعد المائة).

وفي موضع آخر، خصّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمّته بالنداء، فقال: « يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا»⁽¹⁾ فقد تكرر فعل النداء " يا أمة محمد" وغرضه التخصيص والتأكيد، وإظهار الإشفاق على أصحابه والرحمة بهم. ويلتفت الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى فئة خاصة من أمته " فئة النساء" ليخصها بتعليماته وتوجيهاته.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا نساء المؤمنات، لا تحقرن إحداكن أن تهدي إلى جارتها ولو كراع شاة محرقة»⁽²⁾ فالنداء في هذا الحديث موجه إلى النساء، بل إلى النساء المؤمنات دون غيرهن⁽³⁾، وقد اتخذ النداء تمهيدا لطلب غير مباشر هو الترغيب في الصدقة ولو بالقليل.

وقد خص الرسول-صلى الله عليه وسلم-أشخاصا بالنداء في مواقف مختلفة، منهم من ناداهم بأسمائهم، ومنهم من ناداهم باستخدام الكنية، ولكل استخدام غرض. فاستخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم -النداء بالاسم، فنادى "عبد بن زمعة" أحد المتخاصمين في الولد " زمعة". قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هو لك يا عبد بن زمعة»⁽⁴⁾.

(1) - نص الحديث:

حدثني يحيى عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس. فقام فأطال القيام. ثم ركع فأطال الركوع. ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول. ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول. ثم رفع فسجد. ثم فعل في الركعة الآخرة مثل ذلك. ثم انصرف وقد تجلّت الشمس. فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان بموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكرّوا، وتصدقوا» ثم قال: «يا أمة محمد! والله ما من أحد أغير من الله أن يزيي عبده أو تزني أمته. يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا».

الموطأ، ص 177، 178 (كتاب صلاة الكسوف، باب العمل في صلاة الكسوف، الحديث الأول).

(2) - الموطأ، ص 809 (كتاب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، الحديث الخامس والعشرون) وتكرر الحديث في (كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة، الحديث الرابع، ص 866).

(3) - نساء المؤمنات: مركب إضافي، من إضافة الشيء إلى نفسه، أو من إضافة العام إلى الخاص، أو على تأويل نساء بفضلات، أي فضلات المؤمنات، كما يقال رجال القوم أي أفاضلهم.

ينظر: الموطأ، ص 809

(4) - نص الحديث:

قال يحيى عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت: كان عتبة بن أبي وقاص، عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص، أن ابن وليدة زمعة مّتي، فاقبضه إليك. قالت فلما كان عام الفتح، أخذه سعد وقال: ابن أخي. قد كان عهد إليّ فيه، فقام إليه عبد بن زمعة فقال: أخي. وابن وليدة أبي، ولد على فراشه. فتساقفا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال سعد: يا رسول الله. ابن أخي، قد كان عهد إليّ فيه. وقال عبد بن زمعة: أخي، وابن وليدة أبي. ولد على فراشه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «هو لك يا عبد بن زمعة» ثم قال رسول الله - صلى

الملاحظ في هذا الحديث الشريف، هو تأخير النداء: لأن الأهم هو النطق بالحكم، وهذا ما يدل عليه السياق "التنازع في الولد"، فقد خص عبد بن زمعة بالنداء، وحكم لصالحه بالولد.

د- الإكرام:

من أغراض النداء المحققة في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - غرض " الإكرام " وهو ما يستخلص من النداء الوارد في صورة مناداة الشخص باسمه أو بكنيته، وهذا النوع من النداء يجعل المخاطب أحرص على الاستجابة والإسراع في تنفيذ الطلب الذي غالبا ما يلي النداء، فقد نادى الرسول - صلى الله عليه وسلم - زوجه عائشة - رضي الله عنها - ونادى معاذ بن جبل، وبعض صحابته رضوان الله عليهم.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجيبا عائشة رضي الله عنها - حينما سألته: " يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ " « يا عائشة ! إن عيني تنامان ولا ينام قلبي »⁽¹⁾ فالحوار الذي دار بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - اعتمد على النداء، كمقدمة لعرض السؤال " أتنام قبل أن توتر؟ " وكذا تقديم الجواب « إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » ورغم أن طرقي الخطاب كانا قريبين من بعضهما إلا أنهما استخدما أداة النداء " يا "، مما يدل على أن للنداء أغراضا أخرى غير لفت الانتباه، فالغرض في هذا المقام هو التودد والتحب وإعطاء جو من الراحة النفسية للمخاطبين.

ومن أمثلة استخدام النداء بالاسم، ما ورد في حديثه - صلى الله عليه وسلم - وهو يوصي معاذ بن جبل الذي قال: " آخر ما أوصاني به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين وضعت رجلي في الغرز⁽²⁾. أن قال: « أحسن خلقك للناس. يا معاذ بن جبل »⁽³⁾ فقد استهل الرسول - صلى الله عليه وسلم - حديثه بأسلوب إنشائي طلبى " أحسن خلقك " طالبا من معاذ بن جبل أن " يظهر من [خلقه]

الله عليه وسلم - «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ثم قال لسودة بنت زمعة: «احتجى منه» لما رأى من شبهه بعنبة بن أبي وقاص. قالت: فما رأها حتى لقي الله عز وجل.

الموطأ، ص 647 (كتاب الأقضية، باب القضاء بإلحاق الولد بأبيه، الحديث الثاني والعشرون)

(1)- نص الحديث:

حدثني عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف؛ أنه سأل عائشة، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف كانت صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيد في رمضان، ولا في غيره، على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا. فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله ! أتنام قبل أن توتر؟ فقال: « يا عائشة ! إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي ».

الموطأ، ص 112 (كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الوتر، الحديث التاسع).

(2)- الغرز، ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وهو مثل الركاب للسر.

ينظر: لسان العرب (مادة غرز).

(3)- الموطأ، ص 788 (كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، الحديث الأول)

لمجالسه أو الوارد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير" (1)، ثم أعقبه بنداء خصّ به معاذاً، وغرضه التأكيد على النصيحة، مستخدماً "يا" رغم قرب المنادى، وفي ذلك تعظيم لمعاذ بن جبل الذي كلف بمهمة عظيمة هي التعليم، ونشر الإسلام بالطريقة الحسنى والمنهجية المتميزة.

هـ-الأسف والشفقة:

واستخدم النداء بالاسم في مواضع أخرى، وكان الغرض منه الأسف والشفقة، ومن ذلك ما جاء في باب الستر على أهل الحدود، فقد خاطب الرسول- صلى الله عليه وسلم- رجلاً يقال له هزال وقد اعترف على نفسه بالزنا:

« يا هزال. لو سترته بردائك لكان خيراً لك» (2)

فقد أشفق الرسول – صلى الله عليه وسلم – على هذا الأعراي، وطلب منه أن يستتر بستر الله، ولا يجهر بمعصيته خلافاً لما كانت تفعله اليهود. (3)

و-الملاطفة والموانسة:

سبق القول بأن النداء الوارد في الحديث النبوي الشريف ليس مقصوداً على حقيقته، وإنما يحمل معاني أخرى تستخلص من السياق، وبخاصة إذا نودي المخاطب بكنيته؛ لأن النداء بالكنية فيه تكريم ولين، وهو يجعل المتلقي أحرص على الاستجابة؛ لذلك استخدمه الرسول – صلى الله عليه وسلم – كنوع من الاستراتيجية في خطابه مع " صفوان بن أمية" زوج بنت الوليد بن المغيرة ، فناداه بكنيته " أبي وهب"، رغم أن العرب لا تنادي إلا المسلم بكنيته، فقيل: "لا يكفى اليهودي ولا

(1) – نفسه.

(2) – نص الحديث:

حدثني مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب؛ أنه قال: بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لرجل من أسلم يقال له هزال: «يا هزال. لو سترته بردائك لكان خيراً لك» قال يحيى بن سعيد: فحدثت بهذا الحديث في مجلس فيه يزيد بن نعيم بن هزال الأسلمي، فقال يزيد: هزال جدّي، وهذا الحديث حقّ.

الموطأ، ص 716 (كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، الحديث الثالث).

(3) – كان اليهود يفضلون الزنا ثم يجلدونه، فقد روي أن اليهود جاءت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنياً، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سالم: كذبتمْ إنّ فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها. فوضع أحدهم يده، على آية الرجم، ثم قرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سالم ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق. يا محمد. فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرجما.

ينظر: الموطأ، ص 715 (كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، الحديث الأول).

النصراني الذمي؛ لأن الله عز وجل - ألزمهم الذلة والصغار، وفي تكنيته إكرامه وتعظيمه⁽¹⁾؛ ولأن صفوان بن أمية لم يكن مسلماً آنذاك، فقد نادى الرسول - صلى الله عليه وسلم - باسمه ولم يناده بوصفه "رسول الله" كمناداة أصحابه له، أراد بذلك تنبيهه والتفاتة إليه، قال: "يا محمد! إن هذا وهب بن عمير جاءني بردائك. وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك. فإن رضيت أمراً قبلته. وإلا سيرتني شهرين. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أنزل أبا وهب»⁽²⁾.

فمناداة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لصفوان بن أمية بكنيته، فيه ملاطفة ولين إضافة إلى حذف أداة النداء، رغم بعد المنادى حساً، وكذا تأخير النداء عن الطلب؛ مراعاة للجو النفسي للخطاب، واستمالة للمخاطب الذي استجاب لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ودخل الإسلام طوعاً، وهذا ما يوضحه سياق الحديث.

كما استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - النداء بالكنية فنادى "عبد الرحمن بن عوف" بأبي محمد حين سألته عن صنيعه في استلام الركن في الطواف:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كيف صنعت يا أبا محمد في استلام الركن؟»⁽³⁾.

(1) - أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (1333هـ)، المنتقى في شرح الموطأ، ط1، القاهرة، دار السعادة، مصر، 342/3.

(2) - نص الحديث:

حدثني مالك، عن ابن شهاب، أنه بلغه أن نساءً كنَّ في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسلمن بأرضهن. وهن مهاجرات. وأزواجهن حين أسلمن، كفار. منهن بنت الوليد المغيرة. وكانت تحت صفوان بن أمية. فأسلمت يوم الفتح. وهرب زوجها صفوان بن أمية من الإسلام. فبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عمه وهب بن عمير. برداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أماناً لصفوان بن أمية. ودعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إلى الإسلام. وأن يقدم عليه فإن رضي أمراً قبله. وإلا سيره شهرين، فلما قدم صفوان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بردائه، ناداه، على رؤوس الناس، فقال: يا محمد! إن هذا وهب بن عمير جاءني بردائك. وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك. فإن رضيت أمر قبلته. وإلا سيرتني شهرين. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أنزل أبا وهب» فقال: لا والله لا أنزل حتى تبين لي. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بل لك تسير أربعة أشهر» فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل هوزان بخين. فأرسل إلى صفوان بن أمية يستعيره أداة وسلاحاً عنده. قال صفوان: أطوعاً أن كرها؟ فقال: «بل طوعاً» فأعاره الأداة والسلاح التي عنده، ثم خرج صفوان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو كافر. فشهد حنيناً والطائين. وهو كافر. وامرأته مسلمة، ولم يفرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين امرأته، حتى أسلم صفوان. واستقرت عنده امرأته بذلك النكاح.

الموطأ، ص 482، 483 (كتاب النكاح، باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله، الحديث السادس والأربعون).

(3) - نص الحديث:

اللافت للانتباه في هذا الحديث الشريف هو اعتراض النداء الاستفهام، وورود النداء باستخدام "يا" رغم قرب المنادى حساً ومعنى وفي ذلك تعظيم لمكانة المنادى عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وملاطفة ومؤانسة تضيء على الخطاب جواً من السكينة والزاحة النفسية بين المتخاطبين.

إن الملاحظ في النداء الواردة بغرض " الملاطفة والمؤانسة والإكرام" هو عدم تصدر النداء للخطاب؛ رغم أن النداء - كما سبق القول - يعدّ تمهيداً لما بعده، فكثيراً ما يأتي النداء في آخر الحديث، أو في وسطه، والأمثلة على ذلك كثيرة، أختتمها بكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمّ سليم حينما قدم إليها طالبا منها الطعام.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هَلْ بِي يَا أُمّ سَلِيمٍ مَا عِنْدَكَ؟»⁽¹⁾.

في هذا الحديث الشريف متوالية من الأساليب الإنشائية الطلبية، توسط فيها النداء أسلوبياً الأمر والاستفهام، وفي ذلك ضمان لاستمرارية الحوار وإضفاء لجو الملاطفة والمؤانسة والإكرام.

ز-التفجع والحسرة:

حدثني عن مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه، أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الرحمن بن عوف: « كيف صنعت يا أبا محمد في استلام الركن؟ » فقال عبد الرحمن: " استلمت. وتركت"، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أصب»

الموطأ، ص 343 (كتاب الحج، باب الاستلام في الطواف، الحديث الثامن عشر بعد المائة).

(1) - نص الحديث:

حدثني عن مالك عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأمّ سليم: لقد سمعت صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضعيفاً. أعرف فيه الجوع. فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير - ثم أخذت خمار لها. فلقت الخبز ببعضه. ثم دسته تحت يدي وردّتي ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد ومعه الناس. فقامت عليهم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أرسلك أبو طلحة؟» فقالت: نعم، قال: «للطعام؟» فقلت: نعم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن معه: «قوموا» قال فانطلق. وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أمّ سليم، قد جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس. وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة، حتى لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو طلحة معه حتى دخلا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «هلمي أمّ سليم، ما عندك؟» فأتت بذلك الخبر، فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - ففُتّ وعصرت عليه أمّ سليم عكة لها. فأدمنته، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شاء الله أن يقول ثم قال: «اِئْذِنْ لِعَشْرَةٍ بِالْدَّخُولِ» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: «اِئْذِنْ لِعَشْرَةٍ»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «اِئْذِنْ لِعَشْرَةٍ» حتى أكل القوم كلّهم وشبعوا. والقوم سبعون رجلاً، أو ثمانون رجلاً.

الموطأ، ص 806، 807 (كتاب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، الحديث التاسع عشر).

من النداء ما يأتي في مناسبات معينة كالرثاء

، ومن ذلك ما ورد في باب " النهي عن البكاء على الميت " ⁽¹⁾.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « غلبنا عليك يا أبا الربيع » فالغرض من استخدام النداء في هذا الموضع هو التحسر والتفجع على عبد الله بن ثابت الذي ناداه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكنيته تعظيما وتكريما له حيًا وميتًا.

الخاتمة:

النداء فعل تواصلى، يتكون من مرسل (المنادى) ومرسل إليه (منادى) ورسالة، وهي جملة تنصدها أدوات النداء ويكتمل معناها بجواب النداء الذي كثيرا ما أغفل في الدرس النحوي العربي، لذلك فجملة النداء بحاجة إلى إعادة تصنيف، وهي ميدان خصب للدراسات اللغوية على اختلاف مناهجها.

اعتمد الرسول-صلى الله عليه وسلم-على حرف النداء (يا) دون غيره، فاستخدمه لنداء القريب و البعيد والمتفجع عليه على حد سواء.

النداء الوارد في الحديث النبوي الشريف، ليس مقصودا على حقيقته، وغرضه يتعدى لفت الانتباه، ليحقق أغراضا أخرى تفهم من السياق.

ليس للنداء في الحديث النبوي الشريف موضع قار، فقد يأتي في صدر الكلام مثلما يأتي في وسطه أو في نهايته، تبعا للسياق و الأغراض المتوخاة.

النداء في الحديث النبوي الشريف يهدف بالدرجة الأولى إلى التأثير في المخاطب واستمالاته، لذلك كثيرا ما يتخذ الرسول-صلى الله عليه وسلم-مقدمة لما يقدمه من توجيه وإرشاد وأمر ونهي. فهو من

(1) - نص الحديث:

حدثني يحيى عن مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، عن عتيك بن الحارث، وهو جد عبد الله بن جابر، أبو أمة، أنه أخبره أن جابرا بن عتيك أخبره: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه. فصاح به. فلم يجبه.

فاسترجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: « غلبنا عليك يا أبا الربيع » فصاح النسوة، وبكين، فجعل جابر يسكتهن. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « دعهن. فإذا وجب، فلا تبكين بأكية » قالوا: يا رسول الله، وما الوجوب؟ قال: « إذا مات ». فقالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيدا، فإنك كنت قد قضيت جهازك. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته وما تعدون الشهادة؟ » قالوا: القتل في سبيل الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الشهداء سبعة، سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والفرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع، شهيد ».

الموطأ، ص 226 (كتاب الجنائز، باب النهي عن البكاء على الميت، الحديث السادس و الثلاثون).

استراتيجيات الخطاب الناجحة التي تتجاوز مع الفطرة الإنسانية التي غالبا ما تشعر بضغط التكليف ومشقة الأمر والنهي الصادر دون مقدمات.

-المراجع:-

- القرآن الكريم برواية ورش.
- سيويه(دت)، كتاب سيويه، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دط، بيروت، دار التاريخ، لبنان.
- عبد السلام محمد هارون(2001)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ط5، القاهرة. مكتبة الخانجي، مصر.
- عبد العزيز أبو سريع ياسين(1989)، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، مصر.
- عبد العزيز العماري(2001)، أساليب اللغة العربية : دراسة لسانية . ط1، مكناس، مطبعة سجل ماسية، المملكة المغربية.
- ابن عبد الله أحمد شعيب(2008)، معجم الأدوات النحوية وإعرابها، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، لبنان.
- مالك بن أنس(دت)، الموطأ، دط، مراجعة و إشراف :نخبة من العلماء، بيروت، دار الجيل، لبنان.
- ابن منظور(2003)، لسان العرب، دط، بيروت، دار صادر، لبنان.
- مهدي المخزومي(1986)، النحو العربي:نقد وتوجيه، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، لبنان.
- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (1333هـ)، المنتقى في شرح الموطأ، ط1، القاهرة، دار السعادة، مصر.